مقـــدّمة

الحضارة الاسلامية إحدى ثمار العقيدة الاسلامية ومـن معطيات الاسلام ، وهي ميدان متوحد متفرد واسع رائع ثري ندي مزدحم بالنشاط السمح النقي البديع البهي ، مشرق بالنور مزدان بالخير ، تعلو ولا يعلى عليهـا ، ذات سمات ومواصفات متفردة وخصائص مميزة ومقومات تسمو بها شجرة باسقة .

تركت هذه الحضارة الاسلامية في نتاجها ـ خلال مراحلها ـ ظواهر وامارات ، وحدّت بين نتائج هذه الشجرة وما بذرته خلال القرون في بلدان عالم الاسلام الواسع ؛ بقيت تعطي ثمارها حتى يوم ضعف المسلمون وقل تمسكهم فأهملوا رعاية الشجرة .

وليس من المنهجية الموضوعية ولا الأمانة العلمية دراسة هذه الأمور بشكل تراثي خبراً لكان واثراً لناظر ؛ لان العقيدة الحيـة حين يتم الأخذ بهـا تبـدو كتيـارٍ متصل لا يتوقف ، ولا تقـوم حضارة رفيعة إنسانية كريمة إلا بهذه العقيدة . وما عرفت الدنيا ـ وهي لا تعرف ـ الانسان المتحرر المتحضر بغيرها ، وإلا فالضياع في الدنيا والهلاك في الآخرة ، اعاذنا الله ونجانا منه . لذا يتوجب على العقل الأخذ بها معرفة بمكانة الانسان وإدراكاً لواجبه وهدفه .

ويجب تناول الحضارة الاسلامية ـ بجانبيها : العلمي المتعدد والعملي المتنوع ـ ودراستها على أساس من العقيدة الاسلامية ونتاجها ، ففي ظلها أينعت وبصبغتها الربانية قامت وافصحت . فكانت واحدة متوحدة شاملة واضحة بصفتها ، اسلامية لا قومية فيها ، وانسانية لا وطنية تحدها . فهي ترتبط بالله وتستمد من شرعه ، واليه لا الى الطين تؤول ، وانتاجها والتأليف فيه ـ مع المظاهر الأخرى ـ يعبر عن ذلك قوياً بيناً .

لم يعرف التأليف قومية بل ميدانه العالم الاسلامي كله ، سواء في التراجم العامة أو الطبقات العلمية ؛ إلا إذا اقتصرت على بلد أو مدينة بعينها،وفي هذه الحالة يترجم للذين يدخلونها من المسلمين (من أهل العلم أو طلابه) الذين ارتادوها للزيارة او التجارة اوالعلم دراسة وتدريساً ، ولكل نشاط آخر بعين الاطار . فالذاهب من مكان لآخر في أي من بقاع العالم الاسلامي يدرس في غير بلده ويتولى المناصب فيه . وهذه علامة التوحد في الوجهة والفكرة والتكوين وكلها تقوم على التوحيد . والانتقال سهل لا يشعر صاحبه خلاله بغربة ، فيتولى أحواله ويمارس أعماله كأنه في مكان نشأته ، يرفعه فضله وصلاحه وتقواه ، ويعليه علمه ، يعيش في اي مكان منها معززاً مكرماً محبوباً موصولاً لأنه مسلم . وهذه هي الوحدة الصادقة القوية وعداها زيف خادع وسراب زائل .

الحضارة الاسلامية وحدها تقوم على التوحيد والايمان بالله وكتبه واليوم الآخر،وتتمثل الاخلاق وتنتهج الوضوح والصدق(١). وهي أمور انسلخت منها الحضارات الأخرى فتعرت من الفضائل ـ التي لا تقوم بغير هاتيك المقومات ـ وغدت منهـا مفلسـة . واستمداداً من ذلك فان الحضارة الاسلامية تتحصن بالوحـدة والتوحد ، وتتسم بالكمال والشمول والذوق والأناقة ، وتستعلي بالألفة والمحبة والانسجام والوئام والطهر والنظافة والصدق والقوة، وتزهو بالتحرر والحركة والانطلاق الاجتماعي الخيّر في وجهته ، يقودها الى الله التزام بطاعته وأخذ بشريعته .

ولا بد ان يتم ـ في دراسة الحضارة الاسلامية ـ بيان نتاجها والاطلاع عليها بجوانبها كافة واظهار وجوب وامكانية اعادتهـا او تكرار تجربتها الفالحة المشروط بالعودة الى ظل العقيدة الاسلامية ، على ان يكتب ذلك كله بأسلوب وعبارات اسلامية معبرة عن المعاني مكونة وعاء طبيعياً لها لا مقحماً عليها .

وبجانب كل انواع النقص العلمي والتشويه لدى بعض الكتاب والباحثين ـ جهلاً أو اساءة ـ فقد تم لديهم تناول دراسة الحضارة الاسلامية في جوانب محددة وبطريقة معينة دون غيرها .

---

(١) انظر : من روائع حضارتنا ، السباعي : ٣٠ وبعدها .

ويجري في هذا البحث اجمالاً تناول بعض الجوانب المهملة المغفلة من الحضارة الاسلامية وذلك في اطارها العام وبرسم هيكل كلي لاعطاء صورة حقيقية تبين طبيعتها ولونها عموماً .

اولاً : الجانب الدبلوماسي (العلاقات الدوليـة في الاسلام وحضارته) .

ثانياً : الجانب العلمي والثقافي .

ثالثاً : الجانب القضائي .

* * *